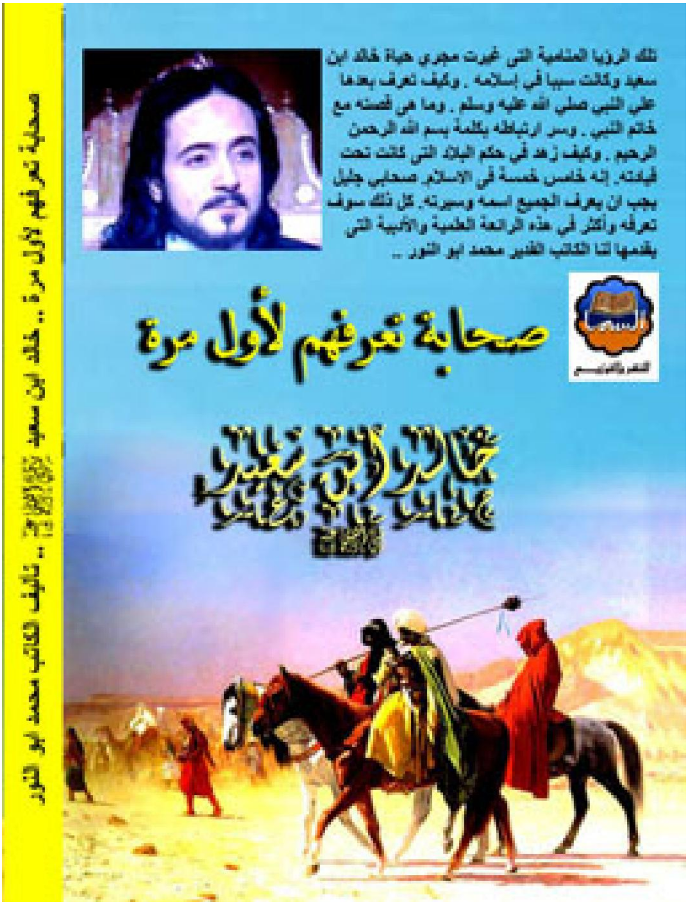
بسم الله الرحمن الرحيم




تلك الرؤيا المنامية التي غيرت مجري حياة خالد ابن
سعيد وكانت سببا في إسلامه . وكيف تعرف بعدها
علي النبي صلي الله عليه وسلم . وما هي قصته مع
خاتم النبي . وسر ارتباطه بكلمة بسم الله الرحمن
الرحيم . وكيف زهد في حكم البلاد التي كانت تحت
قيادته . إنه خامس خمسة في الاسلام. صحابي جليل
يجب ان يعرف الجميع اسمه وسيرته. كل ذلك سوف
تعرفه وأكثر في هذه الرائعة العلمية والأدبية التي
يقدمها لنا الكاتب القدير محمد ابو النور ..
صحابة تعرفهم لأول مرة
خالد ابن سعيد
صحابة تعرفهم لأول مرة .. خالد ابن سعيد .. تأليف الكاتب محمد ابو النور

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة

صحابة تعرفهم لأول مرة

خالد ابن سعيد رضي الله عنه

والرؤيا المنامية التي كانت سبباً في إسلامه

بقلم المفكر الإسلامي

محمد أبو النور

رقم الإيداع	٢٠١٥/٢٥٧٩٣
الترقيم الدولي	٩٧٨-٩٧٧-٦٣٧٤-١٧-١

للنشر والتوزيـــع

محمد أبو النور

صحابة ..
تعرفهم لأول مرة

في رائعة جديدة من روائع الكاتب والمفكر الاسلامي محمد ابو النور الأدبية والدينية ،ننفرد بنشر إحدي مؤلفاته والتي حازت علي جذب انتباه القراء وإعجابهم من شتي الثقافات نقدم لكم هذا الكتاب عن سيرة صحابي جليل من مدرسة النبوة ..

(خالد ابن سعيد) رضي الله عنه ،

حيث يقدم لنا (أبو النور) ملحمة دينية وتاريخية وأدبية سوف تضيف لك الكثير والكثير عن تلك المدرسة المحمدية الخالدة والتي قد غاص في بحارها مؤلفنا القدير واستخرج لنا منها أروع مكنونات الجواهر وأزكي فضائل النفس الإنسانية وأجمل القصص الديني ، والآن نترككم مع الكتاب ..

دكتور عمر عبد الهادى

مقدمة

الحمد لله الذي نزه ذاته بذاته وانفرد بالكمال .. واختص نفسه بالأحدية فليس له شريك ولا ند ولا مثال .. وتجلي علي عباده بصفات الجمال والجلال ثم اصطفي الصفوة من أحبابه لدرجات القرب ومعارج الوصال .. وسقاهم من محبته شراباً طهوراً من كأسٍ زلال .. فهاموا شوقاً إلي رؤيته ، وذابوا حنيناً في محبته .. ولم يفتروا عن الذكر والإنس في دوام حضرته .. فجعلهم نجوماً في سماء الحق .. وعينهم مصابيحاً لإرشاد الخلق .. ووهبهم من كنوز البر وخزائن الصدق .. ما يسعفون به الأرواح المتعطشة ويهدون إلي ربهم تلك النفوس الجامحة الطائشة ، فهم مصابيح الظلم ، ونبراس الأمم ، وبهم يستضئ الغرب والشرق .. تري أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ..

وأصلي وأسلم علي مدرسة العلم الجامعه ، وشمس النور الساطعه .. وأُذُن الخير الواعية السامعه .. من قال الله فيه .. محمد رسول الله والذين معه .. وعلي آل بيته الطيبين المطهرين .. وصحابته الغر الميامين .. الذين اصطفاهم الله لنبيه من فوق عليين ، وجعلهم قسمته وحظه وهو بين الماء والطين ..

إن الـذي اختَـار للنبـي صَـحابته
هو الإلهُ وليس عقلاً مـن البشـــر

قـومٌ مـع المصـطفي دنيـا وآخـرة
والذين معـه نَصّـتْ بهـا السِّـوَر

من ظنّ في أصحاب النبي منقصة
فقــد ظــنّ في الله أســوأ الفِكَــر

إن الصحابة للمُختار قـد ظَهَـروا
من كنوزِ الغيبِ كجـوهرِ الـدُرَر

النبـيُّ كالبـدرِ في العليـاءِ مَطلعـه
والصحبُ حولَهُ كالأَنْجُمِ الزُّهـر

فهؤلاء هم صحابته الأشداء الرحماء .. نجوم الحق ودرع الوفاء ..

الطائرين نهاراً على ظهور الخيل .. الساجدين العاشقين المتبتلين بالليل ..

لندخل الآن إلي ساحاتهم ، و نتذوق من جمال أرواحهم .. ونقتبس وميضاً

من أنوارهم .. ونري ما شاهدوه علي يد النبي ﷺ من خوارق وإعجاز ..

وما لديهم من مكارم خلق عالِ الطِّراز .. ففي نَجابةِ التلاميذ تظهر براعة

الأستاذ .. فلنستأذن منهم لندخل تلك الرحاب ، ولنطرق بقلوبٍ وجلة

هذا الباب .. لنري رجالاً قد أسماهم النبي ﷺ بالأصحاب ..

فنعم الإسم والوسم في معانيه وصفاته ، وهنيئاً لهم بالقرب من ذاته ..

وعليهم سلام الله ، ورحمته ، وبركاته .

مجمع الأنوار

المكان صحراء واسعة على مد البصر .. تلال ووديان من الرمال لا ترى فيها شيئا يأخذ بصرك .. سوي هذا البيت الوحيد المنفرد المصنوع من الطوب اللبن والحجارة المرصوصة .. يعلو سقفه بعض الجريد وجذوع النخل اليابسة ..

البيت يوجد أسفل جبل صخرى أملس يدعى جبل الصفا ..

وهو وحده قائم فى هذه البرية القاسية لا يجاور أحياء ولا يحتمى بقرية يأنس بها .. فلا جار له سوي هذا الجبل العتيق ..

وقد أضفى عليه هذا التفرد مهابة وجلال .. وكأنه صومعة لرهبان قد اعتزلوا الخلق وضجيجهم ، وهجروا متع الدنيا الفانية ..

وراحوا يتعبدون لله الواحد .. ويتذوقون تلك المتع الروحية التى لا يعرف مذاقها الا أهل الإيمان ..

جبل (الصفا) .. اسم الجبل يوحى للسامع بوميض من النور الذى يهجم على القلب فى طرفة عين فيملأه بالصفاء والهدوء ..

ما أن تلمح هذا البيت المتفرد حتى تشعر بشئ غامض يجذبك نحوه ..

شئ ما يقود روحك بزمام من الشوق والفضول لتعرف ما سر هذا البيت الفقير الذى يعلوه نور وبهاء لا تجده فى أفخم القصور ..

من الذى يسكنه ..

على أى شئ يحتوى هذا البيت الموجود فى هذا القفر الموحش ..

هل يعقل أن هذه الصومعة المسكينة سوف تحكم أقوي امبراطوريات المعمورة !!

أي شئ داخل هذه الدار الزاهدة سوف يغير وجه التاريخ ويقلب الموازين ويجعل الضعفاء نجوماً ، ويحول العبيد ملوكاً ..

من هو هذا الإنسان الساكن بجوف هذا الكوخ والذي سوف يشرـق نـوره علي البسيطة وتطير معارفه وعلومه شرقاً وغرباً ..

كيـف سـيغرس أفكـاره في ملايـين العقـول ، ويسـتودع أسراره في ملايـين القلوب ويحدث ضجة تهز أرجاء الكون ، وتهزم الصمت الراكد منـذ آلاف السنين .. سوف يختلف عليه الكل ، سيؤمن به أقوامٌ ويكفر به آخرون ..

سوف تعشقه شعوبٌ وتبغضه أمم ، ستفديه بـالأرواح أجيـال ، بيـنما تحقـد عليه حكامٌ وكهنةٌ ملوك ..

قد تختلف فيه الآراء ، وقد يتناظر ويتنافر بسببه الباحثون ، ولكنه بحـق هـو من سيغير الأرض ،ويكتب التاريخ ، ويؤثر في العالم بقوة ..

كل ذلك سوف يخرج من هذا الكوخ البسيط .. شئ عجيب ..

لابد لك كي تكشف هذا السر أن تخترق الآن حجاب الزمان والمكان ..

وأن تعود إلي الوراء ما يزيد علي ألف سنة وأربعة قرون ..

أن تخطو الآن بأقدامك الروحية في هذه الصحراء الواسعة ..

لا شئ أمامك الآن .. سوي جبل .. وبيت .. وصوت حفيف الريح ..

البيت البسيط تسقط عليه أشعة الشمس المتوهجة فيلوح لك بياضه من بعيد .. ها هو أنت تقترب منه شيئا فشيئا ..

تتحسس الخطا وتتلطف فى المسير حتى لا تعكر صفو هذا الهدوء الذي يخيم على المكان .. ما أن تقترب من هذا البيت الا وتسمع همهمات تنبعث من داخله كدوى النحل ..

تراتيل وتسابيح غير مفهومة .. بكاء وأنين .. أصوات حزينة تترنم وتتغنى بكلمات غريبة على الآذان فى ذاك الوقت ....

إنها كلمات لا تشبه شعر الشعراء ، ولا أسفار الأحبار .. لكنها مقدسة ..

نعم مقدسة فى أعلى درجات القداسة ..

يشهد لذلك هذا الجلال الذى يسطو على الأرواح عند سماعها ..

اقترب أكثر عساك تسمع بوضوح ..

ها أنت تسمع منهم شيئا ...

(الرَّحْمَنُ .. عَلَّمَ الْقُرْآنَ.. خَلَقَ الإِنسَانَ.. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ) .. الرحمن ١-٤

(إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوَى .. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) .. طه ١٢-١٣

(يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى.. يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي فَيَوْمَئِذٍ لّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ .. يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً.. فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وادْخُلِي جَنَّتِي)

الفجر ٢٣ -٣٠

شئ عجيب أن يخبرك أحد وقتها أن تلك الكلمات التى تـتلى فى هـذا المكـان القفر المهجور سوف تخرج من هـذه الـدار البسـيطة لتطـير فى كـل الآفـاق وتغير وجه العالم ..

وأن هذه الدار سوف تكون مجمع الأنوار وملتقى سـاكنى الأرض بسـاكنى السماء ..وسوف يذكرها التاريخ وتتناقلها الروايات .. إنها كلمات القـرءان وإنها دار الأرقم ..

بـداخلها عـدد قليـل مـن المـؤمنين المستضـعفين الـذين يخفـون صـلاتهم وتراتيلهم خوفـا مـن بطـش العـدو ..أجسـادهم نحيلـة ، مشـدودة ، غـير مترهلة .. ثيابهم من الصوف ووبر الإبل .. وجـوههم شـاحبة تعـرف فيهـا هيبة الخشوع وصفرة السهر .. لكنها مضيئة مثل مصابيح الزيتـون الصـافية فى عيونهم دمعة غزيرة تنهال ساخنة كلهيب الشجن ..

على محياهم بسمة نضرة تخفى ما يموج بداخلهم من أحزان ومخاوف ..

تسمع صوتاً عذباً ، جميلاً ، مملوءا سكينة ، يبشرهم قائلاً ..

" بشر هذه الأمة بالسناء والنصر والرفعة في الدين والتمكين " (١)

" ارحموا من في الأرض ، يرحمكم من في السماء " (٢)

" ارحَموا تُرحموا .. اغفروا يَغفر الله لكم .. ويلٌ لأقماع القول .. ويلٌ للمُصرين الذين يصرون علي ما فعلوا وهم يعلمون " (٣)

" ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار .. ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل .. عزاً يعز الله به الإسلام وأهله ..وذلاً يذل الله به الكفر " (٤)

١ـ أخرجه الإمام أحمد، وابنه عبد الله في زوائده، وابن حبَّان في صحيحه، والحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ..
٢ـ البخاري في الأدب المفرد وأبو داود والترمذي وآخرون
٣ـالبيهقي في شعب الايمان ، البخاري في الأدب المفرد ، مكارم الأخلاق للطبراني
٤ـ أخرجه الإمام أحمد في المسند وابن حبَّان في صحيحه، والهيثمي في مجمع الزوائد

" يوشك أن يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب .. هم خيار من في الأرض " (١) ..

" أتاكم أهل اليمن ،هم أرق أفئدة ، وألين قلوبا " (٢)

" ألا إن الإيمان يمان .. والحكمة يمانية .. ألا إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن" (٣)

" إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر .. فاستوصوا بقبطها خيرا .. فإن لكم منهم صهرا وذمة " (٤) .. " مصر أطيب الأرضين ترابا .. وعجمها أكرم العجم أنسابا " (٥) .. " إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها " (٦)

١- رواه احمد في مسنده ٢- متفق عليه
٣- رواه الهيثمي في مجمع الزوائد وروي البخاري نحو في التاريخ الكبير
٤- رواه ابن عساكر
٥- أورده السخاوي في المقاصد الحسنة والعجلوني في كشف الخفاء
٦- أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث ثوبان مولى رسول الله

" موضع سوط أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها .. ولقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب " (١)

ذلك ما قاله النبي ﷺ للناس وهو وقتها فى أشد الضيقات والإضطهاد .. حتى أنه كان يتخفى هو معهم فى دار الأرقم ..

وقد يسهل عليك الإيمان بهذا الكلام الآن ، لأنك تراه حولك عياناً ، فقد وُلِدت وأنت تري الإيمان في مصر واليمن والعراق وسائر بلدان المعمورة ، ولا تخلو بلد في الارض من دعوة الإسلام ورسالة النبي ﷺ .. ولكن لك أن تتخيل نفسك مع الذين سمعوا من رسول الله هذه البشارة في وقتها ، وهم محصورون مختبئون في دار الأرقم بين شعب الجبال .. وأكثر الصحابة الجالسين مع الرسول ﷺ آنذاك عبيدا مساكين ،لا يملكون من أمرهم شيئا

١ـ رواه البخاري

بل يتسللون ويلجأون للحيلة كي يهربوا من أسيادهم ويستطيعون مقابلة النبي ﷺ سرا ..

وكان النبي ﷺ وقتها يبشرهم بأنهم إن صدقوا مع الله ، وزهدوا الحياة الدنيا وعملوا الصالحات والطيبات ، سوف يورثهم الله نعيم السماء ، وملك الجنة ، وسوف يهبهم مع ذلك التمكين في الأرض نافلة ، كي يستطيعوا عبادة الله الواحد الأحد بدون تعذيب أو معاناة ..

وكان يتنبأ لهم بأن الله سوف ينشر دعوة النور والخير في أكبر البلدان وأعظم الأمم ، وأن القوتين العظمتين في ذلك الوقت (الفرس والروم) سوف يدخلون في دين الله ويخضعون لهؤلاء المساكين المؤمنين ..

والأعجب من ذلك أن الذي كان يعدهم بهذا ويتنبأ لهم به وهو النبي ﷺ ذاته كان فقيراً يتيماً ، مضطهداً من البعيد والقريب ، وليس صاحب ملك ولا صولجان !

حقاً إن الإيمان بهذه النبوءات في ذلك الوقت كان يعد معجزة عجيبة ، والتصديق بهذا الحديث كان مخاطرة لا ريب فيها ، وأقل نواتجها أن يتهمك من حولك بالجنون ، فضلاً عن ملاقاة القتل والتعذيب والإضطهاد ..

ذلك لأنه لما رأت قريش مشهد النبى محمد ﷺ وهو يصلى ويسجد بجبينه المتوقد نورا عند الكعبة والناس تلتف حوله ينظرون إليه .. خشيت قريش أن مشهده ذلك أصبح يأسر قلوب الناس ..

ويكفى لدعوتهم للإيمان به ، مع ما كان يتلوه من قرآن يجذب الأرواح والعقول فنهته عن ذلك وضايقته فيه ..

ولولا حماية عمه أبو طالب لكانت قريش تريد أن تمنعه من الوجود عند الكعبة مطلقا لو تقدر على ذلك ..وقد تعرض النبي ﷺ لصنوف من الأذي والأحقاد بلغت لحد محاولات الإغتيال ، مما جعل سرية الدعوة لازماً

فكان النبى ﷺ يأخـذ أصـحابه ويـذهب بهـم الى بعـض الشـعاب البعيـدة ليسـتخفى بصـلاته مـن المشرـكين . فكـان الصـحابة اذا أرادوا ان يلتقـوا يذهبون سراً إلى بطون الأودية والشعاب ..

فبينما هم كذلك فى مرة يصلون ويقرأون القرآن . رآهـم أحـد كفـار قـريش فجمع عليهم جمـع مـن الـوثنيين فطـردوهم وقـذفوهم بالحجـارة وكـادوا يقتلونهم .. فلم يجدوا مكانا يقيمون فيه صلاتهم وعبادتهم ..

وكان من بينهم صحابى اسمه الأرقم بن أبى الأرقم ،كانـت لـه دار أسـفل جبل الصـفا فى مكـان آمـن بعيـد عـن عيـون المشرـكين .. فـدعا النبـى ﷺ وأصحابه ليلتقوا فى داره .. فصاروا يدخلون دار الأرقم متخفين .. وهنـاك كانوا يجتمعون بالنبى محمد ﷺ ليسمعوا منه تعاليمـه والـوحى المنـزل عليـه فكانت دار الأرقم مجمع الأنوار ومشرـق الشـمس التـى أضـاءت صـدور

الصحابة .. وفيها فُتحت عيونهم بنور كلماته وتعاليمه التى صنعت من هؤلاء الأعراب البسطاء أبطالا فتحوا العالم .. وصاغت من نفوسهم الفطروية مُثَلاً عليا وجعلت من حياة كل واحد منهم قصة عظيمة ..

بل وسطرت فى كل مواقف حياتهم ملاحم وفتوحات ..ومن يظن أن المقصود بفتوحات الصحابة هي فقط الفتوحات الأرضية التي نتجت عن الحرب والجهاد ، فهو يظلمهم ويضعهم دون رتبتهم .. فقد كان لهم قبل ذلك الفتح في الجهاد الأكبر ، وهو جهاد النفس وحرب الشهوات .. والذي بدونه لا يمكن أن يحدث جهاد العدو .. فمن لم ينتصر علي نفسه ، محال أن ينتصر علي غيره ..

كان للصحابة تلك الجوهرة الثمينة وهي ذلك الفتوح الروحي الذي وهبهم الله إياه ، والذي يعد هو الوقود والطاقة والمدد الرباني الذي جعلهم

نجوما تضئ في سماء كل البلدان .. هؤلاء الرجال الأميين الذين لم يتلقوا تعليماً أكاديمياً ، ولم يتلقنوا فلسفات ونظريات بشرية ، كان الرجل منهم يعيش علي الفطرة والبداوة والتلقائية الحياتية بكل معني الإنسان البسيط الذي يعانق الطبيعة ، ويعايش الحياة البكر القروية الساذجة التي لم يفضها خداع المدنية أو مكر التكنولوجيا ..

وكان هذا الرجل الأمي يأتي إلي النبي ﷺ كصفحة بيضاء ، فيقوم من بين يديه وهو بحر يتفجر العلم من جوانبه ، وتُستقي الحكمة من كلماته ..

يأتيه الإعرابي الغليظ الطبع ، الذي يبول في ثيابه ويدفن صبيته حيه ،ولا يعرف في الدنيا سوي الصيد ومعانقة قنينة الخمر وقتل الرجال بالحربة ، وفي هُنَيْهة لا في ساعة ، يملؤه النبي ﷺ رحمة ويفرش أرض قلبه بنور غيبي سمائي .. فيتحول هذا الإعرابي إلي راهب يبكي خوفا من الخطيئة ، وعاشق

متيم يذوب حباً وهياماً في الذات العليا المقدسة ، وولياً صالحاً يحمل بين جنباته المثل العليا والمعارف الربانية ..

عن تلك اللمسة المحمدية التي تفوق الخيال والسحر في تأثيرها بمن حولها من هؤلاء الأعراب الأجلاف والتي حولتهم إلي إئمة ومصلحين تتناقل علومهم وتدرس كلماتهم ومواجيدهم ..

هذا الكيان الجديد الذي كان يصنعه النبي ﷺ من كل إنسان يجلس معه ، وأحيانا يكون هذا الإنسان كافرا بالنبي ﷺ بل ربما جاء ليقتله أو ليعترض عليه ، فما هي إلا نظرة محمدية ولحظات حتي يربط هذا الكيان الأرضي بالسماء ، ويصوغ منه أنموذجاً لعبد رباني رحماني يمشي علي الأرض هونا ..

فيقوم هذا الكافر من بين يدي النبي ﷺ ولياً عارفاً بالله.. لنشاهد هذا الكيان الجديد بعد أن استقي من النور النبوي ، قد تمت صياغته من جديد ..

فنري من يصبح حَبر الأمة وترجمان القرءان مثل ابن عباس ﵄

ومن يصبح أمين السر وصاحب علـم الإيـمان والنفـاق ، مثـل حذيفـة ابـن اليمان ﵁ ..

ومن يكون رمزاً للوحدة وللخلوة والحكمة مثل ابي ذر ﵁ ..

ومن يكون علماً للحب وللإخلاص مثل ابو بكر ﵁ ..

ومن يصبح باباً للعلم ورمزاً للفداء مثل علي ابن ابي طالب ﵁ ..

ومن توافق كلماته وإلهاماته وحي السماء مثل عمر ﵁ ..

ومن يصير كنزاً للكرم والجود والحياء مثل عثمان ﵁ ..

هذا الفتوح الرباني في حياة الصحابة والذي قد غفله الكثيرون وحصروه في المعارك الحربية فقط ، سيكون هو حديثنا وديدننا والسماء التي سنعرج إليها ولن أتكلم في كتابي هذا عن مشاهير الصحابة رضوان الله عليهم ، فهؤلاء

قد عرفهم النـاس وحفظـوا أسـماءهم ، وقـد أفـردت لهـم بفضـل مـن الله مؤلفات أخري تُطلب لمن أراد أن يتوسع في معرفة سـيرتهم والوقـوف عـلي المزيد من مكارمهم ..

ولكني بعون من الله وتوفيقه سوف أفرد هذا المؤلَّف لمن لم يعرفه الناس مـن الصحابة الكرام ، ومن لم تشتهر أسماءهم عندهم ..

وسنروي قبسا مما كان عندهم من المواهب الإلهية والمثل العليا والمكارم التي لم يذكرها الكثيرون ..

فإن كل نبي كان له صحبه ، وكل معلم كان له تلاميذه ، ولكل ولي مصـلح النوع الذي يجذبه الله إليه ..

وقد جمع الله لصحابة النبي ﷺ الرأفة والرحمة التي كانت في أصحاب المسـيح ولكنه وهبهم معها الشدة والفداء الذي مكنهم لرفع راية الـدين والإنتصـار

علي أهل الوثن والظلام .. فالحق دوما طيب وديع ولابد له من قوة تحميه وإلا تلاشي واندثر تحت أقدام صولة الباطل ، فعندما اشتد الخطب وأحاط الشر بصاحب الدعوة النبي ﷺ ، لم يقل له أصحابه " فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون " المائدة -٢٤

كما قالت بنوا اسرائيل لموسي .. ولم ينكره أتباعه عند صياح الديك ثلاث مرات كما فعل بعض الحوارين مع المسيح ..

ولكنهم وقفوا أسوداً يدافعون عن الحق الذي آمنوا به ، حتى أخذوا مكانهم بين الشهداء ، ونالوا مقاعدهم المتوجة بتيجان الصدق والكرامة عند مليك مقتدر ..

ومجاهدة الصحابة لم تكن في الميدان فقط ، فقد كان الميدان هو النزر القليل من حياتهم والساعات العابرة من أوقاتهم ، وإنما كانت جل مجاهداتهم في

الدعوة بالبصيرة ، وبالأخلاق العلية ، وبالفتح الروحي الذي وهبـه الله لهـم كل واحد منهم علي قدر رزقه ونصيبه ..

كانت دعوتهم بالعمل قبل العلم ، وبالفعل قبل الكلام ، وبالنور المحمـدي الذي استودع في ذواتهم وصاغ منهم مُثَلاً عُليـا ، حتـى أصـبحوا عـلى مـر الزمن شجرة عظيمة شامخة فى صحراء التيه البشري .. شجرة لها نور ونـار سلم وحرب .. رحمة وشدة .. يلوح نورها للسائرين من بعيد ..

فتعال معى ياصاحبي الآن نذهب سوياً إلى هذه الشجرة المباركة عسانا نأتي منها بقبس نور ، أو نجد على النار هدي ..

ابو النور

خالد ابن سعيد رضي الله عنه

يرفض حياة النعيم

في منزل من منازل السادة الأثرياء ، كانت كـل مظـاهر الـترف موجـودة ..

صهيل الخيول العربية الأصيلة لا ينقطـع ، حيـث تمـرح الجيـاد المطهمـة في مرابض الخيل المحيطة بالمنزل ..

مئات الرؤوس من الغنم والبقر والجمال ، في الوقت الذي كانت فيـه أكـواخ الفقراء لا تمتلك سوي شاة أو عنزة عجفاء ، يستجدونها اللبن كي يُصـمتوا به أفواه الأطفال التي لا تكف عن الصراخ جوعا ..

لكن مائدة هذا المنزل الثـري لم تكـن تخلـو سـاعة مـن السـاعات مـن شـاة مسمطة ، أو عجلا حنيذا مشويا ، بجواره كئوس النبيـذ الفـاخر ، المصـنوع من كرم الزبيب ومنقوع التمر والشعير ..

والمدعوين دوماً علي تلـك المائـدة الفـاخرة هـم نفـس الأشـخاص الـذين يحضرون يومياً للطعام والخمر ، يأكلون ويشربون ويضحكون ..

ثم يُلقون بعض عبارات الثناء وأبيات من الشعر تصف كرم وسخاء سعيد ابن العاص صاحب الدار واللحوم المشوية والخمر المعتق ..

كان يحلو لهم سماع القينات الراقصات وهم يحتسون الخمر ، وصيحات الإعجاب تنطلق من الأفواه الضاحكة يخالطها صوت صهيل الخيول التي توحي بالعزة والثراء ، فتطرب الآذان وتهتز البطون المتخمة بالطعام ..

والملفت أن هؤلاء المدعوين لم يكونوا من الفقراء ولا أرباب الحاجات وإنما هم أيضا من أثرياء مكة وسادات قريش ، وهم الأصدقاء المقربين لسعيد ابن العاص ..

بعضهم يحرص علي هذه المائدة كي ينتهز فرصة هذا الطعام المجاني الذي يوفر عليه أغنامه وأمواله ، فما أكثر الأغنياء البخلاء ، وما أندر أن تجد غنيا كريما .. وبعضهم كان يحرص علي المائدة كي ينعم بتلك الصحبة التى لا

تكف عن الضحك والفخر والنكـات الفاحشـة ، والتلـذذ بمشـهد العبيـد وهم يسعون حولهم في كل مكان لخدمتهم وحمل نعـالهم والتهويـة المسـتمرة التي تطرد الذباب المتطفل من فوق رؤوسهم ..

كما أن محاسن تلك الجواري الصغار التي كان يعـج بهـن المنـزل ، تسـتهوي قلوب السادة ، فينهشون أجسادهن بـأعينهم عنـدما يقـدمن لهـم كـؤوس الخمر ويصببن علي أياديهم الماء المعنبر .. ثم ينهشون لحـومهن وأعراضـهن علي الفراش ،سواء كان ذلك بالأجرة ، أو كان بقبول الهديـة مـن صـاحب الدار السخي المسرف فى الكرم حتى بالأعراض وفي النهاية هن عبيد وإمـاء لا حرمة لهن ، ولا ساتر يمنع من فروجهن المبذولـة للجميـع .. ومـن حـق السيد الحر أن يُكره فتياته علي البغاء ، بأجر أو بدون أجر ، يأمرهـا فتنـبطح علي أرض الخيمة للزائر الجليل دون اعتراض ..

كان ذلك مباحا في عرفهم ، ولم يكــن للعبيــد ســوي الســوط الــذي يلهــب ظهورهم ..

في هذه الأجواء كان يعيش الفتي خالد ابن سعيد ..شــاباً مــن أعــز شــباب العرب حسباً ومنزلة .. فأبوه شيخ ثري من سادات بني أمية ..

يوفر له كل وسائل المعيشة المترفة ليكون خلفا له فى منزلته من بـين إخوتـه.. ويجمع كل ما طالته يده من أموال ليجعل أبناؤه من طبقة الأثرياء المدللين

كان خالد يحيا حياة رتيبة رخوة لا ينقصه فيها شئ من متع الـدنيا ..غـير أن ما كان يعكر صفوه هو ما يراه من أبيه فى معاملته للفقـراء والعبيـد وبطشـه بهم وظلمه لهم من أجل مصلحته ونفوذه ..

كانت نفسه تضيق لأجل ذلك ويبيت ليله مسهداً متألماً وكلـما تـذكر مشـهد الدم وهو ينزف من أقدام العبيد والعرق يسيل من جباهم وهـم يئنـون مـن

ضربات سياط أبيه على ظهورهم حتى يعملوا ويكدحوا بمزيد من العمل كي يأتيه بأشهى الطعام والشراب ..

كان يشعر في أعماقه بأنه يتغذى على دماءهم وعرقهم .. ولكن كيف يتصرف وهذا طبع أبيه .. وإخوته كذلك قد ورثوا منه هذا الطبع القاسي ..

تري ، أتكون هذه هي كل الحياة المقدر له أن يحياها .. طعام وخمر وكلمات من المديح تلقي إليه نفاقاً في آخر كل عشوة .. أي عبث ذلك ..

إن الطعام الوفير الزائد عن الحاجة يصيب صاحبه بالملل والسأم ولا يعد يشعر له بمذاق ، بل ويبغض طعمه بعد ذلك ، ثم يعود فيشتهي أقل وأبخس المأكولات ..

تلك حقيقة لا يدركها الفقراء الذين لا يتصورون أن الثري المتخم يتوق ويحترق جوعا لتلك اللقمة الحقيرة التي في أياديهم ..

هل تنحصر كل أهداف الحياة في الطعام والشراب ..

إن البهائم التي ترتع حوله في فناء المنزل ليس لهم همة ولا دأب إلا فى الأكل والشرب بنهم ..

بل أن أقل حيوان كخنزير يستطيع أن يلتهم أضعاف أضعاف ما نأكله ، فأي قيمة لهدف تشاركنا فيه البهائم ، وما قيمة أن نُسَخِّر حياتنا من أجل شئ تتفوق فيه علينا الخنازير ..

إن هناك همة عالية ترفرف في صدر الفتي ..

طموح بعيد لشئ غير مادي يمتلك جوانح خالد .. ما أصعب أن يولد المرء فيلسوفاً يبحث عن الحكمة في مجتمع لا يريد سوي العلف والتبن ..

وكيف لخالد أن يبوح بما في داخله وهو يري أن قومه لا شئ لديهم أعلي مما هو فيه ..

كيف له أن يعلن تبرمه وضيقة بحياة الترف الرخوة وهو يشاهد أباه القاسي الصارم يذبح الآخرين من أجل أن يعطيه هو كل لذة في فمه ..

بل إن أقران خالد كانوا يحسدونه علي ما هو فيه من راحة وثراء في بيئة فقيرة قحلة تبحث عن أعواد العشب وقطرات الماء ..

الصبية الصغار الذين كانوا يهرولون حول الفرس الذي يركبه خالد في حضن أبيه ، كي يشاهدون ثيابه الحريرية ويشمون عطوره النادرة ، ويمدون أياديهم طمعا في أن يلقي لهم درهما أو ثمرة فاكهة .. فيرفع الفرس رجليه ورأسه ، ويصهل في زهو واضح ..

بينما أنين العبيد المعذبين لم يكن يفارق مسامع خالد الرقيقة ..

هذا الأنين جعله يبغض زيف الدنيا وبهرجة النعيم ، لقد سأم من أصدقاءه الأثرياء المغرورين ..

ربما حاول أن يصادق بعض الصبية الفقراء ، إنهم يبدون أكثر وداعة وطيبة لكن سوط أبيه كان بالتأكيد طاردا لهؤلاء الأولاد أبناء الطبقة الفقيرة ..

فإن المجتمع المكي كان مجتمعا طبقيا من الدرجة الأولي .. السادة والعبيد هذا هو وصف الناس هناك .. طبقة تملك وطبقة تخدم .. طبقة تنكح وطبقة تكدح فمن كان من طبقة العبيد فلا سبيل أمامه سوي أن يعمل ويكدح ويشقي بالسخرة من أجل أن ينجو من غضب سيده ..

ولا أمل له في النجاة أو حتى الإعتراض ، فالمرأة منهم مملوكة للسادة لا يحق لها أن تضم قدميها علي فرجها لتصون نفسها من الإغتصاب .. بل عليها أن تتكسب المال من تلك القاذورات لتقدمه لسيدها في كل صباح ..

والرجل منهم عبدا ، يتحكم سيده في عرقه وماله وأعضاءه .. قد يخصيه سيده حتى يقضي علي رجولته ويطمئن لدخوله علي حريمه الحرائر في

جريمة تعد من أبشع الجرائم ومع ذلك يرضي بها الجميع ويرونها أمرا عاديا ..

حيث يقوم السيد بسحب ذلك العبد الموعود ويجره كالشاة التي تساق للذبح ثم يوكله إلي فتيانه الذين يقوم بوثاقه وتجريده من ثيابه ، ثم يضعون خصيتيه بين حجري الرحا ويسحقونها طحناً أمام السادة الذين يضحكون تلذذاً بهذا المشهد ..وإن لم يقنع السيد بإخصاء عبده فقد يلجأ لقطع عضوه الذكري تماماً ليطلق عليه اسم العبد (المجبوب) ..

هذا كان نصيب طبقة العبيد ، ولا تحسبن أن هذه الطبقة نالت العبودية بسبب غباء أو تقصير منها .. فالحظ وحده كان كفيلا بأن يجعل هذا من السادة وهذا من العبيد ، فمن كان حظه أن يكون أسود اللون ، أو مولودا لأبوين مملوكين ، أو ابنا لقبيلة ضعيفة مستعبدة ..

كل ذلك كان كفيلا بأن يجعله عبدا مدي الدهر ، وتلك كلها أمور قدريـة لا دخل لإرادة الإنسان فيها ..

فالإنسان لا يختار لونه أو أبويه أو قبيلته وعائلته .. وقد يكون هذا العبد مـن أذكي الناس أو أطيب الناس ، أو أمهر الناس في عمله ، كـل ذلـك كـان لا قيمة له سوي في ارتفاع ثمنه فقط .. أما الحرية فلا سـبيل لهـا .. فهـم ملـك للسادة يتوارثونهم جيلا بعـد جيـل .. وكـم مـن عبـد قضيـ حياتـه يعمـل ويكدح طوال عمره حتى مات وهو عجوزا مملوكا ، ثم يورث ذريته صـك العبودية من بعده هذا إن نجا من عملية الإخصاء وكانت له ذرية ..

فالعبيد دوما هم الطبقة الكادحة ، أما السادة فكانوا هم الطبقة الناكحة ..

لا هم لهم سوي اللحم .. يأكلون اللحم ويركبون علي اللحم .. ويتنافسون علي ألقاب الفخر والشرف .. لا سيما بنو أميـة القبيلـة القويـة التـي كانـت

تسابق من أجل العزة والفخار والمجد ، فكيف يُبدي خالد أي ضيق أو تبرم وقد وهبه الحظ السعيد أن يكون من طبقة الأثرياء .. إن ذلك سـوف يكـون في أعين الناس نوعا من البطر المذموم والغير مبرر ..

لا أمل إذا لخالد سوي أن يحيا هذه الحياة التي يكرهـا ، وأن يكـون خليفـة أبيه سليل بني أمية أصحاب السيادة ، المتسلطين دوما علي رقـاب العبيـد ..

ومازال صهيل الخيل مستمرا ..

الرؤيا المنامية

التي غيرت حياة خالد ابن سعيد رضي الله عنه

لم يكن خالد قد قابل النبي ﷺ قبل ذلـك .. ولا دار بخلـده أنـه فى يـوم مـن الأيام سوف يجتمع بأعظم رجل أظلته قبة السما ..وأنـه سـوف يصـبح مـن أخلص أصحابه ..

حتى أتى هذا اليوم الذى لاحظته فيه عين العناية ، واختارتـه قسـمة الوعـد المكتوب .. فرأى خالد فى منامه رؤيا أفزعته جدا ..

فقد رأى أن هناك ناراً عظيمة ملتهبة تحيط بـه ورأى مـن فظاعتهـا وأهوالهـا أمراً مهولاً ورأى أنه على شفيرها وأن أباه يريد أن يدفعه فيها..

وبينما هو كذلك يكاد يسقط في هذه النار إذا به يرى النبى ﷺ يظهر لـه آخـذا برداءه يمنعه من الوقوع فيها ،وهو يجذبه بيمينه المباركة فيدفعـه بعيـدا عـن اللهب والنيران .. فقام خالد من نومه مفزوعـاً وقـد تفكـر فى هـذه الرؤيـا وتعجب منها لأنه لم تكن له مخالطة بالنبى ﷺ ..

فظل مدهوشا ترعبه منظر النار التى رآها كلما تمثلت له فى مخيلته ..

وتذيبه شوقا طلعة النبى المشرقة كلما تذكره وهو ينقذه من النار بكل عطف وشفقة ..

ولكن ماهذا الرجل يخاف علي أكثر من أبي ؟ ..

ومن يكون حتى يخترق عالم نومى فيسبى روحى بمحبته وشوقي إليه .. ؟

ترى هل يكون حديث نفس أم أنها رسالة من عالم الغيب البعيد ؟..

وهكذا طرقت محبة النبي ﷺ أبواب قلب خالد وانشغل عقله به ، وأصبحت روحه أسيرة لدى النبي ﷺ ،رغم أنه لم يقابله يوما ولم يسمع منه أى تعاليم ومرت الأيام وجرت أحداث الحياة بخالد ، ثم حدث بعد ذلك أنه رأى رؤيا أخرى في منامه . .

فرأى كأنه غشيت مكة ظلمة شديدة حتى لا يبصر امرؤ كفه ..

فبينما هو كذلك إذ خرج نور ساطع من بئر زمزم ثم علا فى السماء فأضاء البيت . ثم أصاب النور مكة كلها ..

ثم تحول ذلك النور إلى أرض يثرب فأضاءها كلها حتى إنه لينظر إلى البسر فى النخل ..

واستيقظ خالد وهو يشعر أن النور يملأ عينيه ومشاهد هذه الرؤيا منطبعة فى فؤاده .. فقال ..

- أحلف أن هذه الرؤيا حق ..

ثم نهض من فراشه وقص رؤيته على أخوه عمرو وكان سديد الرأى ..

فلما استمع إلى رؤياه قال له ..

- يا أخى إن هذا الأمر يكون فى بنى عبد المطلب ألا ترى أنه خرج من حفر أبيهم زمزم ..

كانت لكلمة " عبد المطلب " وقعها في قلب خالد ..

فهو المعروف في العرب بأنه جد بنو هاشم الذي وقف لأبرهة عندما أراد هدم الكعبة ، وقال قولته الإيمانية الشهيرة (للبيت رب يحميه) ..

وهو الذي أعاد حفر بئر الجد إسماعيل "زمزم " بعد أن كان قد اندثر مكانها لسنين طويلة .. وجعلها سبيلا متاحا لكل الناس ..وديار بني عبد المطلب هي مثال الطهر والجود والكرم في أنحاء مكة كلها ، غير أن بنو أمية عائلة خالد ، كانت تتنافس دائما مع بني هاشم علي زعامة العرب وتسابقها في ذلك .. وبيت عبد المطلب من أعز بيوت بني هاشم ..

ولكن خالد لم تكن تشغله منافسات قومه وصراعاتهم القبلية .. كان ما يعنيه هو ذلك الشئ الذي يجيش في صدره بحثا عن همة عالية ، ومعانٍ وجدانية عميقة ، أعمق من الطعام والشراب ومتاع الدنيا الفاني ..

واسم (عبد المطلب) كان يحمل دائما هذه المعاني ..

فهو يـذكر بالكعبـة بيـت الله ، وبالأحـداث الخارقـة التـي حفظـت البيـت وسكانه من الهلاك ..

نزول الطير الأبابيل وتلك المعجزة التي ردت جيش أبرهة ..

كان اسم (عبد المطلب) يذكر بجد العرب النبي اسماعيل وبالرؤيـا المناميـة التي دعته لمعرفة مكان البئر المبارك .. إن اسم (عبد المطلب) ينقـل الإنسـان لعالم من الغيبيات والرؤيات وذكريات الأنبياء ..

إنها روحانية صرفة لم يكن يراها خالد في قومه الذين يبحثون عـن الزعامـة الأرضية ..

لم تكن الزعامة الأرضية هم خالد .. كان أهم ما يعنيه هو ذلك النـور الـذي رآه في الرؤيا .. فصاح خالد قائلا ..

- لابد أن أسافر الى ديار بنى عبد المطلب فأرى ما الحدث ..

وهنا عزم خالد على الرحلة التى ستغير كل حياته وتحوله مـن شـاب عـادي رخو لم يكن لنسمع عنه فى يوم من الأيام إلى بطل مجاهد نـروى قصـته لكـل جيل ..

الخطوات المباركة

أعد خالد راحلته ولملم حاجاته مسرعاً يتهيأ للمسير ..

كان يسير ولكنه فى الحقيقة كان يُسَارُ به ..

ويُسَاقُ نحو هدايته ومطلع سعادته ..

ليرحل إلى شمس الإشراق التى اجتذبت روحه جذبا لا يقدر على مقاومته

ربما تعلل لأبيه بأنها رحلة خلوية لا تعدو الصيد والتنزه ..

لكنه مؤكدا لم يفصح له عن وجهته وعن رؤيته المنامية التي رآها ..

فلم يكن أبيه ممن يأبه ويبالي بالرؤيات والمنامات .. بـل يعتبرهـا تفاهـات لا

قيمة لها .. فهو رجل مادى لأقصي حد ..

قطع خالد مفازة واسعة في الصحراء يسامر أفكاره ويناجي خواطره ..

وصل إلى ديار بنى هاشم .. راح يمشي بين أزقة البيوت وأفنية الخيام ..

ربما تكون بيوت بني عبد المطلب وجيرانه ..

هاهي الكعبة وبئر زمزم .. بئر الجد اسماعيل ..

النخيل والأسواق وحركة المارة من التجار والزبائن ..

تُري من في هؤلاء الكثيرين يكون هو (محمد) ﷺ ..

وكيف لخالد أن يسأل عن إنسان لم يعرفه إلا في الرؤيا !

وأي شئ سوف يقوله الناس عنه إذا علموا أنه سافر من بيته وغادر قبيلته

وأتي إلي هنا بسبب حلم في منام ..

لم يكن هناك سبيل سوي أن يواصل خالد السير والتجوال عساه أن يقابل

(محمداً) ﷺ ..

إنه يحفظ ملامحه جيدا فقد طبعت في ذهنه من حين رآه في الرؤيا ..

لكن لا أحدا من هؤلاء المارة يشبهه ..

كان أول من قابله خالد في مسيره واسترعي انتباهه هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه

رجل تبدو علي وجهه ملامح الطيبة .. تألفه العين سريعا ..

خفيف اللحم غير بدين .. وقورا بشوشا ..

استوقفه خالد ، ودار بينهما حديثا خفيا .. سؤالٌ وجوابٌ وبسمة ترحاب

ولما علم خالد أنه مقرب من النبي ﷺ وأنه صاحبه الأمين .. قص عليه كل

الرؤيات التى رآها وأنفاسه تلهج حرارة وصدقا ..

استمع له ابو بكر بإصغاء دقيق ، واهتمام صادق ..

أنهي خالد ما لديه من حديث وألقي كل ما في جعبته من كلمات ..

فقال له أبو بكر ..

- أريد بك خير يا خالد .. هذا رسول الله قد ظهر فاتبعه ..

وهنا مضى خالد بجوار أبو بكر في طريقه الى مقابلة النبى ﷺ يتخفى سرا ..

يقوده الصحابة عن بعد حتى لا يتفطن لهم المشركين ..

لقد أخبره أبو بكر بأن مقابلة النبي ﷺ ليست بالأمر المرحب به من قريش

وأن نطق اسم (محمد) ﷺ جهرا قد يجلب له الكثير من الأذي ..

فراح خالد يمشى خلف الدليل فى حذر إلى أن خرج من أزقة القرية ودخـل فى البادية متجها نحو جبل الصفا ..

إن الميعاد في دار الأرقم .. مجمع الأنوار ..

كان فى كل خطوة يخطوها يرفع قدما مـن مـاضى الجاهليـة ويضـع قـدما فى مستقبل الإيمان .. يرتقى بكل خطوة درجة فى منازل الهداية ..

يشم عبير النبي ﷺ فى نسمات الهواء المحيط به كلما اقترب من موضعه ..

ها هي دار ابن الأرقم تظهر بجـوار جبـل الصـفا .. يشـير لـه عليهـا أحـد الصحابة يتقدم خالـد في خطـوات تتلعـثم مـن الفـرح ، ثـم تنـتظم وتهـدأ بالسكينة .. وقلب تتعالي نبضاته بالشوق والوجل ..

حتى وصل إلي باب دار الأرقم وما أن جاوز عتبته حتى غمره نور الدوحـة النبوية ، فدخل عليه وجلس بين يديه يتملى من طلعتـه الشـريفة ﷺ ويقـص

عليه كل ما رأى فى منامه .. وأنه شاهده وهو ينقذه من تلـك النـار المحرقـة التي يريد أبوه أن يلقيه فيها ثم رأى نورا عظيما يخرج من بئر عبد المطلـب ..

فقال له النبى ﷺ .." ياخالد أنا ذلك النور. وانا رسول الله " (١)..

فقال خالد : يا محمد ﷺ إلام تدعو ؟

فقال له النبي ﷺ .. " أدعو الى الله وحـده لا شريـك لـه، وأن محمـداً عبـده ورسوله .. وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع "(٢)

١- الحافظ ابن عساكر الدمشقي في تاريخ دمشق

٢- ابن عبد البر فى الاستيعاب

فدمعت عينا خالد ونطق الشهادتين وأسـلم بـين يـدي النبـي ﷺ .. ورجـع خالد إلى دياره ، وقد ترك قلبه هناك فى دار الأرقم معلقاً بالله ورسوله ﷺ ..

الإبتلاء .. قدر الصالحين

علم أبو خالد بإسلامه ووصلته أخباره وما صار إليه قبل أن يعود من سفره بعد أن دس عليه من يراقب أحواله ويأتيه بأخباره ..

فلما أن رآه حتى قام إليه غاضبا فانتهره وضربه بمقرعة كانت فى يده حتى كسرها على رأسه..

فسالت الدماء من جبهته وغطت وجهه .. ثم قال له أبوه منكرا..

- أتبعت محمد وأنت ترى خلافه لقومه وماجاء به من عيب ألهتهم .وعيب من مضى من آبائهم .. فأجابه خالد بثبات وقوة لم يتوقعها الأب ..

- نعم والله اتبعته على ماجاء به ..

فتغيظ أبوه وقال بغضب ..

- اذهب عنى حيث شئت فوالله لأمنعنك القوت ولا يصلك منى درهما ..

فقال له خالد ..

- إن منعتنى فإن الله يرزقنى ما أعيش به ..

فطرده أبوه من البيت وقال لأبناءه

- لا يكلمه أحد منكم إلا صنعت به عذابا.

وهكذا تم طرد خالد من البيت الثري في ثورة غضب عارمة من أبيه ، وأمـام إخوته وعائلته والعبيد الذين اتبعوه بنظرات يملؤها الشفقة ، ولكن أحداً لم يجرؤ علي الكلام ..

كيف أصبح خالد رضي الله عنه يعيش بجوار النبي صلى الله عليه وسلم

خرج خالد من بيت أبيه إلي عراء الصحراء ، مطرودا بلا جريمة ، مغضـوبا عليه بلا ذنب ..

لكن عزاءه في ذلك أنه يخفي في قلبه سعادة داخلية كفرحة طير أطلق من قفص حديدي وفتحت له الأبواب كي يحلق في السماء حرا ..

إنه الآن يستطيع أن يعود إلي النبي ﷺ ويعيش في قربه ويحيا بجواره حياة الإيمان والتبتل وفعل الخيرات ..

لقد كان بمقدور خالد أن ينزل ضيفا كريما علي أي صديق من أصدقاء والده الأثرياء .. كان سيلقي الترحاب والإكرام المبالغ فيه بلا ريب ..

كان في استطاعته أن يرسل واحدا من هؤلاء الوجهاء شفيعا عند أبيه كي يسامحه ويعيده إلي أحضانه وإلي فراشه الحريري الوثير ..

كان كل ذلك سهلا ، ولكن خالد لم يفعل من ذلك شيئا ..

فكأنه كان يتلهف هذه الفرصة التي سنحت له لتعيده إلي رحاب النبي ﷺ كي يستقي من أنواره ويطفئ أشواقه التي لم تخبو منذ أول مقابلة ..

فأسرع خالد راجعا إلى النبي ﷺ فكان يلازمه ويعيش معه ويغيب عن أبيه في نواحي مكة..

وهكذا ترك خالد حياة الترف والراحة التي كان يحياها ليعيش شاردا بين جبال مكة ، هائما في الوديان والبراري.. يبيت ليله في دار الأرقم .. يدخل إليها كلما حل الظلام ليجتمع بالنور الأكرم فيسقي روحه المتعطشة من هذا النعيم النبوي ..

كانت أسعد لحظات عمره عندما كان يجلس في الدار مع الصحابة ينتظرون قدوم النبي ﷺ بشوق لا يعرفه إلا من يكابده .. حتى يدخل عليهم النبي ﷺ فيجلسون بين يديه وينظرون إلي وجهه ويستمعون إلى كلامه ..

فحيناً يضحكون طربا وحينا يبكـون خشـوعا ووجـدا ..كانـت التمـرات

وكسرات الخبز التى يتناولها مع أصحابه فى حضور النبي ﷺ أحلي عنده مـن

الدنيا وما فيها ..

لم يكن يعرف هذا المذاق الحلو عندما كان يأكل أشهي وأجود الطعام الـذى

كان يقدمه له أبوه ..

ولكنها حلاوة الإيمان التى تضفى على كل شئ مذاق روحي جميل ..

تمرتان كانت نصيب كل واحد منهما طوال اليوم ، يفطر عليهما عند المغـرب

بعد إتمام صومه ..

ذاق حلاوة التلاوة في جوف الليل المظلم ..

ما أن يشرق الصبح وتلمع خيوط الفجر فى السـماء حتـى يتفرقـون كـل إلى

وجهته ويتسللون تسلل القطا كي لا تشعر بهم أعين الرقباء ..

فينطلق خالد إلى الشعاب والوديان البعيدة يصلى ويسجد على الثرى لـديان السماوات والأرض ..

لقد اختار خالد حياة النساك والزهاد ولم يعد يفكر فى الرجوع إلى حياة أبيـه ومن ذا الذى يرجع من الجنة بعد أن دخلها .. ومن هو الـذى يفكـر فى أبيـه المادي بعد أن عثر على أبيه الروحي ..

فأبو الجسد كل همه أن ينقذ ابنه من نيران الدنيا .. ولكن أبـا الـروح همـه أن ينقذ ابنه من نيران الآخرة .. لأن الدنيا تفنى والآخرة هى التى تدوم ..

فكيف وأبو خالد يريد أن يقذفه فى النار الأبديـة ولا يبـالى بـأن يطعمـه مـن حرام ويغذيه على دمـاء المسـاكين .. ويقهـره عـلى عبـادة الحجـارة والآلهـة المصنوعة..

ولكن خالد كان من السابقين الطائرين إلي دعوة الله ورسوله ، حتي قيـل أن خالد ابن سعيد هو خامس من دخل في الإسلام .

رحمة النبي ﷺ بوالد خالد رغم كفره

حتى جاء ذلك اليوم الذى مرض فيه أبوه مرضا شديدا وعلم خالد من الركبان بخبر مرض أبيه ..

وبينما خالد يجلس بين الصحابة في مجلس النبي ﷺ إذا به يجد النبي ﷺ يبادره ويأمره بزيارة أبيه والتوجه إليه ..

امتثل خالد لأمر النبي الرحيم ﷺ الذي يدرك مشاعر قلب الأب المريض .. حتى وإن كان هذا الأب يبغضه ويرفضه بدون سبب ..

أعد خالد راحلته وودع الصحابة ثم سافر إلي أبيه .. لاريب أنه فى هذه اللحظة كان يتمني الهداية لأبيه ..

كان يتوق لأن يجده قد آمن بدعوة الله ، وفارق ما كان عليه من قسوة وارتكاب شرور .. إن المرض واعظ قوي ومنبه يزجر الإنسان عن الكبر والغرور ..

ربما يؤمن أبوه ويطلب دعوة من النبي ﷺ فيشفيه الله بها من مرضه ..

وربما تكون النهاية .. فليته يموت علي خاتمة السعادة والرشاد ..

وصل خالد عند أبيه وجلس عند رأسه ..

لكن المفاجأة .. أن أبوه لما فتح عينيه ورآه جالسا عنده قال له بخبث متوعدا..

- إن رُفعت وشُفيت من مرضى هذا ،لا يُعبد إله محمد بمكة أبدا ..

فلم يتمالك خالد نفسه عندما سمع ذلك وقال..

- اللهم لا ترفعه ولا تشفه ..

فمات أبوه فى مرضه هذا . .

قصة خالد ابن سعيد رضي الله عنه مع البسملة

رجع خالد الى النبي ﷺ ومعه فى هذه المرة أخوه عمرو فقد أسلم أيضا ..

وقد كانت هذه تعزية من الله لقلب خالد الذي حـزن بسـبب مـوت أبيـه ..

وإن كان حزن خالد ليس لمجرد الموت فهو يعلم أنـه أمـر محتـوم عـلي جميـع البشر ولكن حزنه الأكـبر لأن أبـوه مـات عـلى خاتمـة الكفـر والعـداوة لله ورسوله ..

وبعد أن فرغ خالد من دفن أبيه وتأهب للسفر ، إذا به يجد من أخيـه عمـرو رقة وسكينة لم يعهدها من قبل ، وقد كان يعرف عمرو جيـدا ، فهـو أقـرب إخوته إليه وهو الذي قد حكي له من قبل عن رؤياه التي رآها في منامه ..

وانشرح قلب خالد عندما أخبره أخوه بأن الإيمان قد خالط قلبه ، وأنه يريـد السفر معه إلي النبي ﷺ ..

وفي يوم سطع مجده الأزلي .. بينما الصحابة جلوساً حلقاً حول النبي ﷺ ..

اختار النبي ﷺ عددا من أصحابه لكتابة الوحي ، وكان هذا الإختيار أيضا بوحي ..

تطاولت أعناق كل الصحابة وتطلعت قلوبهم لهذا الشرف المؤبد العظيم من فيهم الذي سيختاره الله ورسوله لتكتب أصابعه كلمات تنزل من السماء من هذا الذي سوف يعينه الله أمينا علي وحيه ..

من هو ذاك الذي سوف يكتب التنزيل مباشرة غضاً طرياً من فم النبي ﷺ كما أن من سيحظي بهذا الإختيار الرباني لابد سيلاصق النبي ﷺ ويلازمه أكبر وقت ممكن ، كي يكتب عنه ما يوحي إليه .. إنها سعادة أخري ونعيم تهون من أجله الدنيا وما فيها ..كان خالد بين الجالسين وكانت سعادته تفوق الوصف حين اختاره النبي لكتابة الوحي ، وجعله في الفريق الرباني الذي اصطفاه الله ليكتب بأياديهم تنزلات الفرقان ..

وكان خالد هو أول من كتب للنبى ﷺ فى المصحف بسم الله الرحمن الرحيم فهل تعلم أن كل من يقرأ (بسم الله الـرحمن الـرحيم) في عنقـه جميـل لهـذا الصحابي الجليل .. خالد ابن سعيد ﷺ

خاتم خالد رضي الله عنه

ولغة أرق من لغة الطير

كل شوق يسكن باللقاء لا يعول عليه ..

هكذا كان نوع الشوق الكامن بقلوب صحابة النبي ﷺ ..

فمن كان يلقاه أكثر ،كان يشتاق له أكثر ، ويتمني أن لا يفارقه أبدا ..

منهم من كان يصرعه الشوق علي أعتاب باب النبي ﷺ حتي يظنه الناس مجنونا وليس به إلا الحب ..

ومنهم من كان يبكي إذا فارقه النبي ﷺ ليدخل بيوت أهله وأزواجه ..

ومنهم من كان يجزع خوفا إذا تذكر أنه سيدخل الجنة ولكنه سيفارق النبي ﷺ فيها .. لأن مرتبة النبي بالطبع ستكون أعلي من مرتبته ..

فالنبي ﷺ سيكون مع رفقاءه من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين بينما يكون هو مع سائر المؤمنين .. ومنهم من كان يحمله الحب علي أن يخدم النبي حتي يظل بجواره أطول وقت ..

ومنهم من كان يلازم النبي ﷺ كظله ، ويفديه بنفسه من المخاطر ، ويدخل قبله الغار ، وينفق ماله كله عليه ، ويري مع ذلك أنه لا يفعل شيئا ..

ومنهم من عليه حديثنا الآن..خالد ابن سعيد ، الذي تملك حب النبي ﷺ قلبه وكيف لا وهو الذي رآه ﷺ في عالم المثال قبل أن يقابله فى عالم الواقع .. وزاره بذاته الشريفة قبل أن يسافر هو إليه .. وأنقذه من النار قبل يصلي ركعة أو يتشهد شهادة .. وأواه إليه بأبوة روحية حينما طرده أبوه الطيني .. واصطفاه واختاره كي يكتب عنه وحي السماء ..وبدأ بيمينه أول كلمة في كتاب الله (بسم الله الرحمن الرحيم) ..

اشتري خالد خاتما بسيطا من حديد ، وخطر له أن ينقش علي فصه كلمة ..

" محمد رسول الله " ﷺ

حتي يظل اسم النبي ﷺ ملاصقاً له في صحوه وفي نومه ..

كان خالد سعيدا وهو يلبس ذلك الخاتم الذي كتب عليه اسم محبوبه ..

ربما خطر له أن يهديه للنبيﷺ أو أن يخبره بهذا الخاتم ويستأذنه في نقش اسمه الشريف عليه .. ولكن هيبة كانت تغالب جميع الصحابة من مجرد النظر إلي وجهه ﷺ فضلا عن محادثته ..ولا ريب أن الحياء تملك قلب خالد من الحديث بشأن أمر كذلك ربما يعد من الأمور البسيطة التافهة في خضم ما يلقاه النبي ﷺ والمسلمون من أمور جسام عظيمة ..

لكن العجيب أنه بينما كان خالد في مجلس النبي ﷺ ذات مرة .. إذا بالنبي ﷺ يسأله قائلا .. " ما هذا الخاتم ياخالد ؟ "

فرد خالد قائلا ..– خاتم اتخذته يارسول الله

فقال له النبي ﷺ .. " فاطرحه "

فطرحه خالد من إصبعه فإذا هو خاتم من حديد ..

فسأله النبي ﷺ قائلا .. " ما نقشته ؟ "

فأجاب خالد بحياء ..– محمد رسول الله ﷺ

فإذا بالنبي ﷺ يتناوله ثم يتختم به في إصبعه ..

ولم يزل هذا الخاتم في يد النبي ﷺ حتى انتقل إلي الرفيق الأعلي (١)

إنها معانٍ روحية رقيقة أرق من لغة الطير ومن همس الأشجار ،لا يدركها إلا المحبين .. لكنها تصنع حبالا من التواصل بين التلميذ وأستاذه ، وبين المريد وشيخه ، لا تنقطع أبدا مدي الدهر وتفرض مذاقها علي السامعين ، فتحفظها الصدور ، وتتناقلها الأفواه والأقلام ..

١- الحاكم في المستدرك وذكره البغوي بسنده

زواج خالد ابن سعيد رضي الله عنه
وهجرته إلي الحبشة

وعندما فكر خالد ابن سعيد في الزواج لم يفكر في فتاة من فتيات السادة أبناء الطبقة الثرية مثل التي نشأ فيها ، وإنما بحث عن فتاة تكون ذات دين تعينه علي الدرب الصعب الذي عزم علي المسير فيه ..فكانت أميمة بنت خلف الخزاعية من المؤمنات السابقات إلي الإسلام ..فخطبها خالد وأقام لهم الصحابة عرسا متواضعا ، بدأ به الزوجان حياتهما الجديدة .. ولكن لما ضاق الحصار علي أهل الإيمان في مكة ، واقترب الخطر من حياة النبي ﷺ وصحابته لولا حماية عمه أبوطالب..وهنا أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلي الحبشة حيث كان هناك ملكا قبطيا عادل اسمه أنجشة ، وأوحي الله إلي نبيه أن هذا الملك القبطي سيكون حاميا لأصحابه المؤمنين وأن عدله سيسعهم ويحميهم من بطش أهل مكة وساداتها .. تصف أم المؤمنين السيدة أم سلمة هذا الحدث وقد كانت وقتها من المهاجرات ولم تكن قد تزوجت بعد من

رسول الله ﷺ فتحكي قائلة ..

- لما ضاقت علينا مكة، وأوذي أصحاب رسول الله ﷺ وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء، والفتنة في دينهم، وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم .. وكان رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه، لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه ..فقال لهم رسول الله ﷺ " إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم عنده أحد ، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجاً ومخرجاً مما أنتم فيه ".. (١)

عزم خالد علي الهجرة في سبيل الله وهو حديث العهد بالعرس ، والذي يفترض فيه أن يميل للدعة والراحة في أحضان زوجته الحبيبة ..ولكنه الإيمان الذي يصنع من الأشخاص رجالا تفوق الجبال عزيمة وصلابة

١- رواه البيهقي بسند حسن

تأهب خالد للرحيل ، وزاد من صعوبة الأمر حمل زوجته في جنين لم تشأ له الأقدار أن يولد في أرض الوطن ..وقف خالد مودعا للرسول ﷺ وقد كان يظن أنه لن يأتي هذا اليوم الذي سيفارقه فيه أبدا ..وفي سفينة ترسو علي ميناء صغير وهو ميناء " الشيبه " علي شاطئ البحر الأحمر .. كان الجو ليلا والسفينة مزمعة للسفر مع بدء طلوع الفجر.. راح يتسلل إليها المسلمين سرا ..وقفز خالد يركب السفينة وهو يسند زوجته الحامل التي تتوكأ عليه ويأخذ بيدها كي تستطيع الركوب ..وأبحرت السفينة تنقل علي ظهرها أعز أصحاب النبي ﷺ عليه ..وفي أرض الحبشة ولدت أميمة لخالد بنتا جميلة أسماها خالد " أمه " ثم ولدت له ولدا سماه خالد باسم " سعيد " علي اسم والده ، وقد حلا له أن يكون من نسله مولودا يحمل نفس اسم أبيه "سعيد " ولكنه يكون مؤمنا محبا للنبي ﷺ ..

ابنة خالد رضي الله عنه الصغيرة

ونبوءة النبي صلى الله عليه وسلم لها

وانقضت أعوام وأعوام .. ثم عاد المهاجرون من الحبشة إلي النبي ﷺ في أرض المدينة ..وعاد خالد ومعه ابناه اللذان ولدا بأرض الغربة " سعيد ، وأمه "وأراهما رسول الله ﷺ .. وفرح بهم رسول الله وفرح بهم المسلمون .

وفرض لهم النبي ﷺ أسهما من العطاء وشملهم ببركته ..فأقبل خالد يمشي نحو النبي ﷺ ومعه ابنته، وهو يقول : يا رسول الله لم نشهد معك بدرًا ..

فقال له النبي ﷺ ..

" أَوَمَا تَرْضَى يا خالد أن يكون للناس هجرة ولكم هجرتان ثِنْتَانِ "

فأجاب خالد مغتبطا : بلى يا رسول الله..

فقال النبي ﷺ .. " فذاك لكم "

ففرح خالدً بذلك وقال لابنته الصغيرة : اذهبي إلى عمّك ، اذهبي إلى رسول الله ﷺ فسَلّمي عليه، فذهبت الفتاة حتى أتتْ النبي من خلفه

فأكبّتْ عليه ، وراحت تلعب وتلمس خاتم النبوة .. فنهاها أبوها خالد

وراح يزجرها ..

فقال له النبي ﷺ .. " دعها "

ثم راحت الفتاة تشير إلي النبي ﷺ علي قميصها الذي ترتديه وعليها يومئذ

قميص أصفر اللون .. وهي تريد أن تُريه هذا القميص ..

فقال لها النبي باللهجة الحبشية مداعبا .. " سَنَهْ سَنَهْ" يعني حسن حسن

ثم تنبأ لها قائلا ..

" أبْلي وأخْلقِي .. ثمّ أبْلي وأخْلِقي.. ثمّ أبْلي وأخْلِقي " (١)

فعاشت هذه الفتاة حياة طيبة وكان يناديها النبي ﷺ بأم خالد ، حتي

أصبحت كنية لها ..

١- رواه البخاري في صحيحه والبيهقي فى دلائل النبوة

وتزوجت من الصحابي الجليل الزبير ابن العوام وأنجبت له .. وعمرت

طويلا حتى عام تسعين .. ولم تعش امرأة مثلما عاشت أم خالد ، حتى أن

موسي ابن عقبة قد أدركها وهي عجوز مسنة ..

وكان يحضر مجلسها في جمع من الناس .. تروي لهم حكايات من زمنها

الماضي عن أبيها وأمها ومعيشتهم وهي طفلة فى أرض الحبشة ، ثم ما

حدث لها مع رسول الله ﷺوكانت تروي أحاديثا سمعتها من رسول الله ﷺ

أما سعيد ابن خالد فقد نشأ غلاما صالحا وله قصة سنذكرها ان شاء الله في

حينه ..

وفاة خالد ابن سعيد رضي الله عنه
والآية العجيبة التي حدثت له عند موته

عاش خالد ابن سعيد بعد عودته من الحبشة في كنف رسول الله ﷺ ، ولم يفارقه يوما ، حتى أنه شهد معه المشاهد كلها .. وعندما امتدت دعوة

الإسلام إلي شتي البلدان شرقا وغربا ، وتحقق نبوءات رسول الله ﷺ ، ورآها الصحابة بأعينهم ..اختار رسول الله ﷺ صاحبه خالد ابن سعيد وأخوه عمرو ، ليكونا من الأمراء الذين يتولون قيادة البلاد .. فعين خالد علي اليمن .. وعين عمرو علي تيماء وخيبر ..وظل خالد ابن سعيد يعمل والياً أميناً علي بلاد اليمن يحكم فيهم بالعدل والرحمة والسيرة الحسنة التي تعلمها من سيد البشر ..وأحبه أهل هذه البلاد ووضعوه ملئ العين والقلب ، لما رأوا فيه من تعفف عن أموالهم ، ورحمة بضعيفهم .. ومكارم الأخلاق التي كان يعاملهم بها ..والحق أنه كان بينهم داعية اكثر منه حاكما فكان يدعوهم دوما بخلقه وعلمه حتي مرت الأيام والأعوام و أدى النبي ما كلفه به ربه .. ودخل الناس فى دين الله أفواجا ، ورأى الصحابة بعيونهم ثمرة إخلاصهم وجهادهم وبدأ يسري بداخلهم هذا الشعور الخفى الذى

يقول لهم إن رسول الله ﷺ لم يمكث معكم أكثر مما مضى ..فقد تم الأمر وانتشر النور ، وأصحاب الرسالات دائما يستعدون للرحيل بعد إتمام رسالتهم ، وهذا ما كان يقلق الصحابة ..ثم تزايدت مخاوفهم عندما شاهدوا النبى ﷺ يداهمه المرض ويشتكى وجع رأسه كأشد ما يكون الوجع وقف رسول الله ﷺ على المنبر خطيبا فقال .." أيها الناس كأنكم تخافون علي ؟ أيها الناس .. موعدى معكم ليس الدنيا ، موعدى معكم عند الحوض ، والله لكأنى أنظر إليه من مقامى هذا ، أيها الناس .. والله ما الفقر أخشى عليكم .. ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تتنافسوها كما تنافسها الذين من قبلكم .. فتهلككم كما أهلكتهم ، أيها الناس .. إن عبداً خيره الله بين الدنيا و بين لقاء الله فأختار لقاء الله ، ففهم أبو بكر ﷺالمراد و عرف أن الرسول ﷺ قد خُير بين الدنيا و لقاء ربه فأختار لقاء ربه ، فلم يتمالك نفسه

وعَلا صوت أبى بكر بالبكاء والشهيق وأخذ ينادى .. فديناك بأموالنا ..
فديناك بأبائنا ، فديناك بأمهاتنا ، فنظر إليه الناس متعجبين فقال لهم النبيﷺ
" أيها الناس : دعوا أبا بكر فوالله ما من أحد كانت له يد إلا كافئناه بها إلا
أبا بكر لم أستطع مكافئتة ، فتركت مكافئتة لله عز و جل .. فكان أبو بكر
هو أفهمهم لمراد رسول الله أنه ينعى إليهم نفسه "

ودخل النبى ﷺ إلى بيته واستأذن إن يكون فى حجرة عائشه ..فكانت هى
تمرضه ، وتمسح جبينه وهى تراه يعرق كأكثر عرق يعرقه إنسان .. ثم أشار
النبى ﷺ عليهم أن يصبوا عليه الماء من سبع قرب ، فكانت تفعل حتى
هدأت الحمى .. وأمرهم النبى ﷺ أن يجعلوا أبوبكر يصلى مكانه بالناس
فكان أبو بكر يؤم المسلمين ، وكل مشاعرهم الخوف والقلق على رسول
الله ﷺ فكانوا يتمنون شفائه وأن يعود إلى مكانه بينهم ..

وشعر النبى ﷺ من نفسه بخفة يوم الإثنين ، فأمر على والعباس أن يأخذوه إلى المسجد فدخل النبى ﷺ وأصحابه وقوفاً مصطفين في الصلاة ، فكشف النبي ﷺ ستر الحجرة ينظر إليهم ، وهو قائم كأنّ وجهه ورقة مصحف، فتبسم ﷺ يضحك لهم عندما رآهم يصلون ، فقد أسعده أن يري ما أرسل من أجله ..يقول الصحابة .. فهممنا أن نفتن من الفرح برؤية النبي ﷺ .. ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصّف، وقد ظن أن النبي ﷺ خارج إلى الصلاة، فأشار إلينا أن أتموا صلاتكم وأرخى الستر ..

وبدا النبى ﷺ يعانى أشد المعاناة ، بعد أن دب الأمل فى الصحابة عندما رأوه يضحك لهم !!

وأحاط الصحابة بالنبى ﷺ يطمئنون عليه ويسمعون وصاياه و هو يقول لهم : " الصلاة الصلاة ، الصلاة الصلاة ،وما ملكت أيمانكم ، الله الله فى

النساء .. وظل يرددها و بدأ يدعو ﷺ و يقول : آواكم الله ، نصركم الله ، ثبتكم الله "

وبالفعل كانت تلك هى اللحظات الأخيرة من حياة النبى ﷺ .. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها وهى تصف يوم موت النبى ﷺ : إن من نعم الله علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، دخل عليَّ أخي عبد الرحمن وبيده السواك .. وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك ؟

فأشار برأسه أن نعم ..

فتناولته، فاشتد عليه .. فقلت: أُلينه لك ؟

فأشار برأسه أن نعم ..

فلينته فأمره وبين يديه ركوة أو – علبة – فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: ((لا إله إلا الله، إن للموت سكرات))، ثم نصب يده فجعل يقول ((بل الرفيق الأعلى)) (١) حتى قبض ومالت يده .

وعلت الرنة ..وسمع الكل أن رسول الله قد مات ، وسجى رسول الله الملائكة ، ودهش الناس وطاشت عقولهم وأقحموا ، واختلطوا ، فمنهم من خبل .. ومنهم من أصمت ومنهم من أقعد إلى الأرض .. فكان عمر ممن دهش.. وجعل يصيح ويحلف : ما مات رسول الله ﷺ ولكنه ذهب كما ذهب موسى للقاء ربه ..

١ـ رواه النسائي والبيهقي وأحمد وابن هشام في السيرة

وسيعود رسول الله ليقطع السن قوم منافقين .. إلى أن قال من زعم أن رسول الله مات ضربت عنقه !!

وأخرس عثمان بن عفان حتى جعل يُذهب به ويُجاء ولا يستطيع كلاما ،

وكان ممن أقعد علي رضي الله عنه فلم يستطع حراكا ..وأما عبد الله بن

أنيس فأضني حتى مات كمدا ..وبلغ الخبر أبا بكر رضي الله عنه وهو

بالسنح فجاء وعيناه تهملان وزفراته تتردد في صدره، وغصصه ترتفع

كقطع الجرة، وهو في ذلك رضوان الله عليه جلد العقل والمقالة ..

انتقل رسول الله ﷺ إلي الرفيق الأعلي .. وعلم خالد بذلك فأصابه حزن أيما

حزن وشعر كأن روحه قد نزعت منه ..

وعاد إلي المدينة المنورة علي ساكنها أفضل الصلاة والسلام ..

يستنشق عبير الذكريات ..

ويشتم في الهواء أثر طيب النبي ﷺ وعطر أنفاسه التى ما زالت تحلق في

الأجواء ، فيجد في ذلك السلوي لكبده الحزينة ..

علم أبو بكر بقدومه ، وكان هو الخليفة بعد رسول الله ﷺ.. فأصدر أمرا باستمرار تعيين خالد واليا علي بلاد اليمن ، وأراد أن يوكل له إدارة بعض البلدان الأخري .. وكيف لا وأبو بكر رضي الله عنه هو أول من قابل خالد ولقيه في طريقه وهو يبحث عن النور الذي رآه في الرؤيا ..وهو من أوصله بيديه للنبي ﷺ .. إنها ذكريات بعمر الدهر لا تنسي .. وقد حفرت ملامحها في قلبي خالد وأبوبكر معا ..

فأبو بكر رضي الله عنه يعلم من هو خالد ابن سعيد رضي الله عنه، وما هي مكانته عند النبي ﷺ ولكن خالد الذي كانت روحه تميل للزهد وطول الإعتكاف والإبتعاد عن ثقل وتبعات المناصب ،كان قد أخذ قراره وعزم علي أن لا يتولي منصبا بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وأن يقضي ما تبقي من حياته في النسك والصلوات عابدا متبتلا إلي ربه ، وجنديا في الميدان كعامة المسلمين .. وقد كان يري أن

الحاكم ما هو إلا خادم ، ولولا أن الأمر بذلك قد صدر إليه من رسول الله ذاته ما كان قد أقدم عليه ..فقد تربي علي تعاليم النبي ﷺ الذي قلده ذلك المنصب بالأمر ، والذي علمه أيضا في نفس الوقت .. أن الإمارة أمانة ، وأنها يوم القيامة خزي وندامة وأنها ليست سبيلا لطلب الجاه أو الإحتيال علي أموال الناس بالباطل ، وأن الظالم في حكمه في النار ، وأما العادل ففي الحساب الشديد حتى يثبت عدله كل هذه المعاني النبوية الراسخة في ذهن خالد جعلته يأخذ قراره بلا تردد أن يعتزل أي منصب بعد وفاة النبي ﷺ وأن يعود كآحاد المسلمين ،وتبعه علي هذا الرأي أخوه عمرو وقرر أيضا أن يسلم ما في يده من أمانة الولاية للخليفة الراشد ، يعين مكانهما من يحب ..

وصلت الأخبار للخليفة أبو بكر بذلك .. وعلم ما انتوي عليه خالد ، ورأي البعض أن يصدق أبو بكر علي طلب العزل الذي تقدم به خالد وأخوه .. ولكن أبو بكر رفض ذلك وقال ..

- كيف أعزلها وقد ولاهما رسول الله ﷺ .. بل أوليهما ما في أيديهما وأزيد ..

واجتمع أبو بكر بخالد وأخيه ، وحاول أن يثنيهما عن رأيهما قائلا ..

- ما لكم رجعتم ؟ ما أحدٌ أحق بالعمل من عمال رسول الله ﷺ .. ارجعوا إلى أعمالكم ..

فقال خالد : نحن بنو أبي أحيحة لا نعمل لأحد بعد رسول الله ﷺ ..

فلما رأي أبو بكر عزم خالد علي رأيه ، وافقه عليه مضطرا .. وأشاد به وبأخيه بين المسلمين ، وجعلهما موضوع الإستشارة والتوقير واتخاذ الرأي وحزن أهل اليمن علي فراق خالد ، وتلك نادرة الأزمان ، أن تحزن رعية

علي فراق واليها .. فلا يكون ذلك إلا دليلا علي عدل هذا الوالي وشفقته برعيته وحبه لهم .. فإن الشعوب عادة تحب تغير حكامها حتى وإن كان هذا مضرا لهم ، ولا يتمسكون بقائد إلا اذا كان بالفعل صالحا وهذا ما حدث مع رعية خالد .. وكم حاولوا إثناءه عن رأيه وإرجاعه إليهم حاكما حتى تروي المصادر أبيات من الشعر قد كتبوها في صفات خالد ومكارم أخلاقه .. كما جاء في ديوان عمرو بن معد يكرب أنه مدح خالد بن سعيد بن العاص لما بعثه النبيّ ﷺ واليا مصدّقًا عليهم بقصيدة يقول فيها :

فَقُلَتْ لِبَاغِي الخَيْرِ إِنْ تَأْتِ خَالِدا

تُسَـرَّ وَتَرْجِعْ نَاعِمَ البَـالِ حَامِدا

ولكن خالد لم يؤثر علي دينه شئ من الدنيا ، ولم يختار سوي ما تجنح له روحه وتجد فيه سعادتها وسلوتها ..

فراح ينهمك في العبادة والتلاوة ، ويستغرق فى صلواته .. ذاكرا .. شاكرا مسبحا .. يستعد لذلك اليوم الذي يلقي فيه ربه وحبيبه رسول الله ﷺ بعد طول فراق ..

وكانت أوقاته التي يقضيها مع أسرته ، يحلو له أن يجمع تحت جناحيه ابنه سعيد وابنته أمه ، فيقص عليهم مما حدث له في حياته مع رسول الله ﷺ..

وذكرياته القديمة حين طرده أبوه وعاش في كنف النبي ﷺ ، ويعمل علي ان يغرس فيهم محبة الله ورسوله ، ومعاني النبل والسماحة والجمال ..

وقد كان ولداه قد ورثا منه محبة النبي ﷺ فطرة ومعاينة .. فقد تكحلت أعينهما برؤية النبي ﷺ وهما أطفالا صغار ..

فنشأ سعيد غلاما صالحا كثير الخير والبركة .. كريم اليد مثل أبوه لا يكف عن الصدقات وفعل الخير ، كما أن له صوت شجي وهو يقرأ القرءان ، يحبه

ويهواه كل من يسمعه .. وكذلك نشأت أمة ، ابنة خالد فتاة وديعة طيبة قرة عين لأمها وأبيها .. كثيرة الصلوات والصيام ..

وكان خالد في ذلك الوقت قد أصبح شيخا قد قارب الستين ، عندما أتاه أمر الخليفة أبو بكر أن يتولي قيادة جيش من جيوش المسلمين ، ليتصدي لغدر قبائل الردة التي كانت تريد أن تنقض علي المسلمين ..

فامتثل خالد لأمر الخليفة .. وتحول فورا إلي جنديا في الميدان ، يلبس الدرع ويأخذ للحرب عدتها ، ورغم أنه ناهز الستين من عمره ، ألا إنه قد أبلي بلاء حسنا ، وصمد كأسد هصور ، وكان ابنه سعيد وقتها بجواره في هذه المعارك فتي قويا جريئا مقداما في سبيل الله .. حتى كان هذا التحدي الأكبر بين المسلمين وأكبر دولة علي وجه الأرض آنذاك (الروم) والتي كانت تجيش الجيوش لتقضي علي دولة الإسلام وتمحوها من علي وجه الأرض ..

وكان خالد آنذاك قد بلغ بجيشه حتى تخوم الشام .. فأرسل له أبو بكر أن يستعد لمواجهة جيوش الروم التي تجهزت للهجوم عليهم وبات خالد ليلته مع أهله الذين اصطحبوه لساحة الميدان ، وقد أحس بدنو أجله واقتراب دخوله لعالم الآخرة .. فأخبر زوجته بأنه سيقتل شهيدا في هذه المعركة .. كان يخبرها بشعوره هذا وهو سعيد لما سيقدم عليه من لحظة قد طال انتظارها ها هو سيقدم علي الأحبه .. محمدا وحزبه ..

إنها سويعات ويلتقي بجيشه القليل في العدد والعدة مع أقوي جيوش الأرض يالها من ساعة تشيب لها الشباب ، ويفزع منها الفتيان الأقوياء ..

ولكن خالد الذي ناهز الستين ، قد استقبل تلك الليلة بقلب مطمئن سعيد لم يدفعه كبره وخوف زوجته عليه أن يقف فى مؤخرة الصفوف ، وأن يكتفي بممارسة دوره كقائد بأن يعطي الأوامر من بعيد وهو في خيمة خلف

الجيش يحوطها الحرس والرجال بالسلاح ..

لم يفعل ذلك مع أنه لو فعله لما كان عليه ملام .. بل إنه قد اندفع في مقدمة الصفوف يواجه العدو ببسالة ويقف ثابتا وسط الرماح والسهام التي تتطاير من حوله كالعواصف ..

ما أن تحدث دومة من التحام الجيشين وتشابك السيوف ، إلا وتنجلي عن ثوران غبار وأجساد قتلي من الفريقين ..

وتساقطت الشهداء من صفوف المسلمين ، وبدا فيهم القتل الذريع ..

تقدم الصبي سعيد ابن خالد ، في المواجهة يضرب بسيفه يمينا وشمالا ، يصادم أقوي وأعتي رجال الروم ، فيفزعون من بسالته ، حتي تكاثروا عليه واخترقوا جسده الصغير بالرماح .. سقط الغلام علي قدمي أبوه ..

وتفجرت دماء الإبن حول الشيخ الواقف علي الأرض في ثبات الوتد ..

مات قرة عينه وثمرة فؤاده أمام بصره ..

لم يهتز خالد ، ولم ينهار ، ولكنه بيقين المؤمن ، وجلد القائد ، صاح قائلا ..

- اللهم إني أحتسب ولدي عندك فتقبله ..

صرخة صدرت من الخيمة عندما شاهدت زوجة خالد ما يحدث ..

خرجت مندفعة من خيمتها تخترق الصفوف .. لكن السيوف المشتبكة منعتها من التقدم ..

لمحت ما يجري من بعيد بعين فزعة حزينة ..

رأت زوجها خالد يتقدم ويتقدم حتى برز إلي العدو بصدره ، لا يلقاه أحدا منهم إلا هزمه خالد ، حتى احتوشته الأعداء وأحاطوا به من كل جانب ..

رفعوا فوق رأسه عشرات السيوف ، لكنه قاومهم ودفعهم عنه في خفة وقوة وكأنه شاب قوي في ريعان شبابه ..

تربص به أحد فرسان العدو ، واقترب منه في تسلل وحذر ، واستغل انشغاله بمبارزة المحيطين به .. ثم طعنه الطعنة القاتلة ..

سقط خالد علي الأرض ..وفر القاتل ..

شاهدت زوجته ما حدث ورأت زوجها ساقطا علي الأرض وحيدا تنهشه الذئاب .. طار فؤادها ولم تتمالك نفسها ..

شدت عليها ثيابها ، ثم اقتلعت عمود الخيمة وخرجت به مندفعة نحوهم ، تشق الصفوف ، وتضرب العدو بلا هوادة ، حتي قيل أنها قتلت منهم سبعة ، وهم يتحاشونها مبتعدين عن طريقها ..

وصلت إلي خالد المضرج في دماءه الذكية .. وبجوراه جثمان ابنه سعيد ..

حملت رأسهما بين يديها ، ورفعت عينها للسماء ترسل دموعها وحر زفيرها إلي ديان السماوات والأرض ..

لله ما أعطي ولله ما أخذ وفي يديه نستودع أرواح الأحباب ..

انجلي غبار المعركة .. وتفرق الجيشان .. أقدام الخيل تهرول بتعب هنا

وهناك طائفة من المسلمين تنقل الجرحي وتحاول إسعافهم ..

وجماعة كبيرة تبكي وتسترجع وهم يحيطون بجثمان خالد البطل الملقي علي

الأرض .. كل ذلك كان طبيعيا أن يحدث ..

لكن العجيب هو ذلك الرجل ، الذي أقبل نحوهم من بعيد ، يترنح في

مشيته ويمضي خطوة ثم يسقط خطوة ، يبدو مصابا ..

إنه مقبل من نواحي جيش العدو ، هيئته توحي بأنه منهم ..

لكن تري ماذا يريد هذا الرجل المقبل نحو المسلمين بعد انتهاء المعركة ..

لا يبدو عليه انه يريد قتالا ، فهو لا يكاد يقيم صلبه .. ولا يحمل سلاحا ..

ترقبته أنظار المسلمين بشغف وارتياب ..

حتى وقف علي الجماعة المحيطة بجثمان خالد .. ألقي عليه نظرة فاحصة ثم سألهم ..

- من هذا الرجل ؟

فأجابوه ..

- إنه خالد ابن سعيد ..

قال لهم بلهجة صادقة ونفس حار ..

- إني رأيت نورا له ساطعا إلى السماء .

سألوه في تعجب ..

- من أنت ومن تكون ؟

لم يصدقوا آذانهم عندما سمعوه وهو يقول ببكاء وعويل ..

أنا الذي قتلته .. أنا قاتل خالد

ولم يفارق الرجل مكانه حتي أسلم وشهد شهادة الحق ، لما رأي من هذه

الآية العجيبة ..

ووقف المسلمون يرثون خالدا بالدموع وبالكلمات وبشهادة الحق ..

لقد مات خالد .. لكنه في الحقيقة لم يمت .. لقد عاش .. عاش إلي الأبد ..

اتخذ موضعه حيا بين الشهداء ، وفي الصدور ، وبين السطور ..

إنه رجل جدير حقا بأن يعرفه الناس ، وبالأولي خاصة أمته ، أن يعرفوه ،

ويعرفوا اسمه ، ويعرفوا سيرته ..

عار أن يجهل الناس خالد ابن سعيد ..

رجل كل حياته آيات .. تم فتوحه من قبل إسلامه ..

له من اسمه نصيب .. خالد خلود الحق والنور والجمال ..

أسلم برؤيا .. ومات بشهادة .. ونفع قاتله .. وسطر للوحي .. وختم للنبي وحكم بالعدل .. وانتقل بالنور .. وهو أول من كتب في المصحف ..

بسم الله الرحمن الرحيم ...

وما زال صهيل الخيل مستمرا .

تم الكتاب

بحمد الله وتوفيقه

محمد أبو النور

صحابة ..
تعرفهم لأول مرة

من أعمال المؤلف

العالم الذي لن يكون (رواية)

قطع غيار إنسان (رواية)

الساجد تحت العرش

السوهاجي وسر التابوت (رواية)

ديوان الأرواح المجندة (شعر)

زمن الإحراج (مجموعة قصص قصيرة)

مات ولم يعرف (رواية)

زكاة الإنتخابات (قصة قصيرة)

الطلب رقم ٥٥٠٠٧ (قصة قصيرة)

صحابة تعرفهم لأول مرة (سلسلة)

خالد ابن سعيد ﵁

جبار ابن سلمي ﵁

أم شريك ﵁ ومعجزة إناء السمن المبارك

الطفيل ﵁ ومعجزة قنديل النور

طلعة الشمس

العائد من الموت

عشرون قصة من بطولات الصحابة

خبيب ﵁ صحابي على الصليب

مجمع الأنوار

سر الحلم المتكرر

توبة إبليس اللعين (رواية)

كيف تري مقعدك في الجنة

الدين بين الحب والحرب

الأدب الروحي (دراسة أدبية في الشعر)

دنيا الحواديت (سلسلة)

الدول النامية والدول النايمة

من سيد الكون

من فضائل وسير الفاروق

الفهرس